التي تقل تحيزاً عن الفرد الذي ينتجها ولا تفوقه بالأحرى (هذا الفرد بكل ظروف حياته المعقدة والمربكة) بيد ان هذه المعرفة ليست بالتالي معرفة غير سياسية بصورة آلية .

وسواء كانت أبحاث الأدب أو الفيلولوجيا الكلاسيكية مشحونة بالمغزى السياسي ــ أو تنطوي مباشرة على معنى سياسي ــ هذه مسألة كبيرة جداً ولقد حاولت ان أعالجها بشيء من التفصيل في مكان آخر(٥) . إن ما يهمني عمله الآن هو الايحاء كيف ان الاجماع الليبرالي العام في اعتباره ان المعرفة « الحقة » هي في الأساس معرفة غير سياسية (وعلى العكس من ذلك : كيف ان المعرفة السياسية المكشوفة ليست معرفة حقة) يؤدي إلى طمس الظروف السياسية المنظمة جداً وان تكن غامضة والمتحصلة عندما يتم انتاج المعرفة . فلا يلقى اليوم أحد المساعدة على الفهم عندما يجري استخدام النعت « سياسي » كوصف يرمي إلى إضعاف الثقة بأي عمل لتجاسره على خرق بروتوكول الموضوعية التي يدعى لها أنها فوق السياسة .يمكننا القول اولا ان المجتمع المدني يقر ويعترف بتراتب في درجات الأهمية السياسية داخل مختلف حقول المعرفة . والى حد ما فان الأهمية السباسية الممنوحة الى حقل من الحقول تأتي من امكانية ترجمته مباشرة إلى لغة الاقتصاد . إنما الى حد اكبر من الأول ، فان الأهمية السياسية تأتي عن قرب حقل من مصادر السلطة والقوة التي يمكن التأكد منها داخل المجتمع السياسي . وهكذا فان دراسة اقتصادية تتناول مخزون الطاقة السوفياتية على المدى الطويل وتأثير هذا المخزون على القدرة العسكرية من المرجح ان يصدر التكليف باجرائها عن وزارة الدفاع الاميركية ، ومن ثم تكتسب الدراسة نوعاً من المكانة السياسية يتعذر اكتسابها من جانب دراسة عن روايات تولستوى المبكرة تقوم احدى المؤسسات بتمويلها جزئياً. مع ان العملين ينتميان الى ما يعترف به المجتمع المدني على أنه حقل مماثل هو حقل الدراسات الروسية. هذا مع العلم بأن احدى الدراستين قد يضعها عالم اقتصادي شديد المحافظة ، بينما تكون الثانية من تأليف مؤرخ ادبي راديكالي . والنقطة التي اريد ابرازها هنا هي ان « روسيا » بوصفها مادة عامة للدراسة تتمتع بأولوية سياسية إزاء التمييزات الأكثر دقة مثل« الاقتصاد » و « التاريخ الأدبي » ، ذلك أن المجتمع السياسي بمفهوم غرامشي يبلغ مجالات من المجتمع المدني مثل مجال الاكاديمية (الجامعة) ويشبعها من مغزى الاهتمام المباشر بها .

لا أريد المضي في التشديد على هذا الأمر على أسس نظرية عامة: إذ يبدو لي أن قيمة قضيتي ومصداقيتها يمكن التدليل عليهما بانتهاج طريق أكثر تخصيصاً ، وذلك على النحو الذي سلكه نعوم شومسكي ، مثلا ، حيث قام بدراسة الصلة الذرائعية بين حرب فيتنام ومفهوم البحث العلمي الموضوعي كما جرى تطبيقها لتغطية الأبحاث العسكرية التي تمولها وترعاها الدولة(٦) . وبما أن بريطانيا وفرنسا ، والولايات المتحدة الأميركية مؤخراً ، هي دول امبريالية ، فان مجتمعاتها السياسية تضفي على مجتمعاتها المدنية حساً من الالحاح العاجل ، كأنها تنفخ فيها روحاً سياسية مباشرة ، حيثما وكلما كان الأمر متعلقاً بمسائل ذات صلة بمصالحهم الامبريالية في الخارج . وتساورني الشكوك فيما إذا كان الأمر مثاراً للجدل ، مثلا ، القول بأن شخصاً انجليزياً في الهند أو في مصر عند أواخر القرن التاسع عشر قد أبدى اهتماماً بهذين البلدين ولم يكن هذا الاهتمام بعيداً أبداً عن مكانتهما في ذهنه كمستعمرين بريطانيين . إن قولنا هذا قد يبدو مغايراً تماماً للقول إن كل المعرفة الاكاديمية عن الهند ومصر